المقالة من التقصير الذي وسمت بهِ غيري من النسآء ولكن الامر لا يخلو من ان قلة الكاتبات والمنشئات تدعو الى التقاعد والجبن ولا سيما واني مقرّة بقلّة المادّة وضيق الاطلاع فعسى ان يوجد في اديبات العصر من تنبههنَّ كلماتي هذه فينهضنَ لاصلاح حالتنا النسآئية ولا يخجلنَ ان يكتبنَ بلغتنا العربية ان كنَّ من القادرات على الانشآء فيها وهذه الجرائد والمجلات تترحب بكل مقالةٍ تأتيها من احداهنَّ فان لم تؤثر كتاباتهنَّ الاثر المطلوب كنَّ قد قمنَ بما عليهنَّ والله الهادي الى سوآء السبيل وردة اليازجي

الانتقاد

لا يخفى ان الانتقاد من ادقّ الامور مأخذاً واجلّها خطراً اذ هو المقياس الذي يتوقف عليهِ سداد الحكم في صحيح الامور وفاسدها والمرآة التي تتجلى فيها صُوَر الحقائق بارزةً عن الشكوك والشبهات فلا بدّ لمتعمدهِ ان يستعين لهُ بأداتهِ التي هي صدق النظر في الامور والوقوف منها موقف المنصف الخبير الذي لا يحكم الا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في الحكم محاباةٌ ولا تحامل

ومع ما ذكر من شرف هذا الفن وخطر موضوعهِ فلم نجد فيمن تقدّم من تفرغ لبسط الكلام فيهِ وتفصيل الجهات التي يتعين على الناقد مراعاتها والتدقيق فيها الى حدٍّ تنتفي معهُ الجهالة واللَبْس ويؤمن الشطط والمجازفة . ولقد طالما كان يخالج صدرنا ان نكتب في ذلك الفصول المطوّلة ولا سيما وقد انتشرت فوضى الاقلام لهذا العهد وكثر المتطفلون على هذا الفنّ الجليل يلغط كلٌّ منهم على قدر ما يملي عليهِ هواهُ ويوحي اليهِ مبلغ علمهِ وذوقهِ الى ان عثرنا منذ ايام على تاليفٍ حديث لحضرة صديقنا العالم اللوذعيّ الشاعر الناثر عزتلو قسطاكي بك الحمصي نزيل مصر حالاً سماهُ « منهل الوُرّاد في علم الانتقاد » وهو سفرٌ جليل بسط فيهِ القول

على قوانين النقد واحكامهِ وما تجب مراعاتهُ فيهِ من احوال الشيء المنتقَد وما يتصل بهِ من اختلاف الزمان والمكان والعادات والاذواق وسائر الامور العامّة والخاصّة مما يكشف عنهُ ويرشد الى وجه الحكم فيهِ . وقد احاط في هذا المؤلَّف بكل ما تدعو الحال الى انتقادهِ من الامور العلمية والادبية والصناعية وغيرها وتوسع فيهِ ما شآء في ايراد الامثلة والشواهد زيادةً في البيان وتعزيزاً لمكان الحقيقة التي هي ضالّة الناقد المنصف

والكتاب لا يزال بخط اليد ولعلهُ سيتسرع في طبعهِ قريباً غير انهُ لما كان يهمّ المتأدبين الوقوف على شيء من اسلوبهِ استأذنّا حضرتهُ في نشر نموذجٍ منهُ على صفحات الضيآء فبعث الينا بالفصل الآتي وهو الفصل الثاني من القسم الثاني منهُ وبمطالعة هذا الفصل تُعلَم مزية الكتاب ومقدار ما اودعهُ من الفوائد وما عانى فيهِ من الجهد في البحث . وهذه صورة الفصل المذكور

﴿ تعريف العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ ﴾

اعلم انهُ لايتيسر الكشف لمعرفة العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ الا بالوقوف على الاسباب والمؤثرات التي دعت الكاتب ان يكتب الرسالة او الكتاب او القصيدة المنقودة على تلك الصورة فيما ان سواهُ يكتبها على وجه آخر. وهذا كلهُ يصدق على الكتابات الادبية او ما في معناها واما الكتب العلمية فلا تدخل في هذا البحث

واعلم ان الوقوف على هذه الاسباب يقوم بالبحث عن احوال الكاتب فيقتدي الناقد بالطبيب او الجرّاح الذي لا يكون نطاسيًّا ولا يكون حكمهُ على العلّة ومحلها في الجسم مصيباً حتى يحسن معرفة تشريح الجسم الانساني ووظيفة كل عضوٍ من اعضآئهِ

وبحث الناقد يجب ان يكون عن سنّ المؤلف لعهد تأليفهِ المنقود

وحالة دنياهُ من فرحٍ او حزن وفقر او غنى وعن صحتهِ هل كان سليماً او سقيماً ، ضعيفاً او قويًّا ، عصبيًّا او دمويًّا ، وعن اصلهِ هل كان كريماً او لئيماً او من اواسط الناس وهل تلقَّى في مدرسة او هو ابن اجتهادهِ وعن مسقط رأسهِ وهل المدينة التي نشأ فيها من المدن الشمالية او الجنوبية شديدة البرد والحرّ او معتدلتهما وهل كان متزوجاً او عَزَباً وهل كان لهُ اولاد او لا وهل عشق او حزن حزناً مفرطاً على فقد عزيزٍ او مال وهل كان ممازحاً او وقوراً وهل كان يعاقر الخمرة او يقامر وهل كان شرهاً او عفيفاً . وبالجملة فعلى قدر البحث والامعان في التدقيق وقوة بصيرة الناقد تظهر العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ للمطالع وكلما كانت اكثر خفآءً واشد غموضاً ضعفت احكام الناقد الاَّ مَن أُوتوا الذكآء النادر والعلم الوافر وقليلٌ ما هم

وانت تعلم ان الراغب في معرفة اخلاق الفرد من البشر او في تصويرهِ يتقصّى في البحث عن ملامحهِ وسائر احوالهِ الظاهرة من الغضب او الحلم ، السهر او كثرة النوم ، الاستقامة او المكر ، الى غير ذلك مما يدلّ على اخلاقهِ اتم دلالةٍ . فبمثلهِ ناقد اقوالهِ اذ هي بنات افكارهِ وترجمان اسرارهِ يجب عليهِ ان يبحث ويدقق فمرآة المرء انشآؤهُ

وكما ان الانشآء يدلُّ على المنشئ فكذلك الوقوف على احوال المنشئ تساعد الناقد على كشف اسرار الانشآء . فانك اذا علمت ان الشاعر المأموني مثلا هو من اولاد المأمون الخليفة العباسي وانهُ صاحب تلك النفس الشريفة والنسب الرفيع وانهُ كان يطمح ببصرهِ الى الخلافة ويمني

نفسهُ قصد بغداد في جيوش تنضمُّ اليهِ من خُراسان لفتحها لم تعجب من قولهِ

اراني ابنَ عشرينَ او دونها وقد طبّقَ الارض شعري مسيرا
اذا قلت قافيـةً لم تزل تجوبُ السهولَ وتطوي الوعورا
ولو كان يفخرُ ميتٌ بحيٍّ لكان ابو هاشمٍ بي فخُورا
ولوكنتُ أخطبُ ما استحقَّ لما كنتُ اخطبُ الا السريرا

ولا من قولهِ في قصيدةٍ اخرى

انا بين احشآء الليالي نارُ هي لي دخانٌ والنجوم شرارُ
فمتى جلا فجرُ القضآء ظلامها صَلِيَتْ بيَ الاقطارُ والامصارُ
بي محلم الدنيـا وبالخبر الذي لي منـهُ بين ضلوعها اسرارُ
فبكلّ مملكةٍ عليَّ تلهفٌ وبكل معركةٍ عليَّ أُوارُ

واذا علمت ان ابا فراس الحمداني هو الامير المجيد والشجاع الوافر الادب والجود والنبل صاحب الكلام الرشيق البليغ الرصين العالي وانهُ ابن عم سيف الدولة ملك حلب لم تعجب من قولهِ يعاتبهُ

قد كنتَ عُدَّتيَ التي اسطو بها ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بغـير ما أَمَّلتُهُ والمرءُ يَشرَقُ بالزلال البارد
فصبرتُ كالولد التـقيِّ لبرّهِ اغضى على ألمٍ لضرب الوالدِ

ولم تعجب من قولهِ وقد كتب بها اليهِ من الاسر

فمثلك من يُدعى لكل عظيمةٍ ومثليَ من يُفدَى بكل مسوَّدِ
تَشبَّثْ بها اكرومةً قبل فوتها وقم في خلاصي صادق العزم واقعُدِ

فان تفتدوني تفتدوا شرف العلا واسرع عوّادٍ اليكم معوّدِ
يدافع عن اعراضكم بلسانهِ ويضرب عنكم بالحسام المهنّدِ
متى تُخلِفُ الايامُ مثلي لكم فتىً طويلَ نجادِ السيف رَحْبَ المقلّدِ
ولا وأَبي ما ساعدانِ كساعدٍ ولا وأَبي ما سيّدانِ كسيّدِ

واذا علمت ان ابن الاثير الجزري صاحب كتاب المثل السائر كان وزير الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين الايوبي وانهُ كان ذا نفس الى المناصب طموح وطبعٍ الى الغضب جموح واطماعٍ وكبريآء وقساوةٍ وازدرآء اسآء العشرة مع اهل الشام حتى كادوا يذيقونهُ كأس الحِمام وتعدد منهُ في مصر قبيح الفعل فهرب منها مستتراً خوف القتل وخرج من حلب مغاضبا ومن إربِل وسنجار معاتبا اذا علمتَ ذلك كلهُ لم تعجب من خُيَلآء الرجل واعجابهِ بنفسهِ وقولهِ في مقدمة المثل السائر « وهداني الله لابتداع اشيآء لم تكن من قبلي مبتدَعَه ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون اقوالها تابعةً وانما هي متّبَعه » . ولا من قولهِ في موضع آخر « وهو مما يدلّ على حذاقة الكاتب وفطانتهِ وكثيراً ما تجدهُ في مكاتباتي التي انشأتها » الخ . ولا من قولهِ بعد ذلك « ولقد مارستُ الكتابة ممارسةً كشفت لي عن اسرارها واظفرتني بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيري باحجارها » الى ان يقول « فمن وقف على ما ذكرتهُ علم اني لم آتِ شيئاً فريّا وان الله قد جعل تحت خواطري من بنات الافكار سريّا » الى غير ذلك مما حشا بهِ كتابهُ المذكور حتى كدّر صفا احسانهِ وشوّه محاسنهُ . وليس هذا موضع نقد الكتاب وانما ذكرت

لك هذه الامثلة تعزيزاً لمعرفة اسرار العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ وقد اختصرتُ ما امكن خوف الملل ولعلي اعود اليهِ في فصل آخر . والبحث في هذا المعنى يستدعي زيادةً في الافاضة والشرح مما ارجو ان يفيهُ حقَّهُ من يكتب فيهِ بعدي

على ان هذا الفرع من فروع علم النقد عند الافرنج اسهل منالاً واوفر ثمرةً مما هو عندنا وذلك لجِدّة حضارتهم وآداب لغاتهم وربما كان لقلة عدد ادبآء كل امة من امهم وانحصارهم في بلاد معلومة من كل مملكة بالنسبة الى كثرة عدد ادبآء العرب وتنقلهم من مكانٍ الى آخر ومن مملكةٍ الى مملكة على اتساع الممالك التي دوّخوها بل تنقُّلهم من الغرب الى الشرق وبالعكس . ولهذا السبب والله اعلم قد ندّ عنا اكثر احوالهم وسني مواليدهم ووفياتهم بل ذهبت عنا اسمآء كثيرين من اعاظم ادبآئهم وشعرآئهم ممن اكلت مؤلفاتهم نيران الحروب . هذا فضلاً عن اهمال اكثر مؤرخي العرب ومترجمي اعلامهم ذكر الملامح وتفصيل السحنات التي يحتاج الى معرفتها الناقد فان المتنبي مثلاً مجهول الملامح عندنا فلا نعلم أقصيرٌ هو ام طويل ، أمهزول ام سمين ، ابيض ام اسمر ، كبير الانف ام صغيرهُ ، اقناهُ ام اخنسهُ ، كبير العينين ام صغيرهما ، غائرهما ام بارزهما ، مخروط الوجه ام مستديرهُ ، الى غير ذلك من وصف مزاجهِ واخلاقهِ وغرائزهِ كالبخل والكرم واللؤم والحلم وغيرها . ولكنهم كانوا حراصاً على ذكر الانساب والكنى والتعريف ، فقد تروم الوقوف على ترجمة الحافظ ابي حسن القدسي مثلاً وتفتش عنها كثيراً فلا تهتدي

اليها الا بمعجزة وذلك لكثرة الكنى قال ابن خلكان « ابو الحسن علي بن الانجب ابي المكارم المفضل بن ابي الحسن علي بن ابي الغيث مفرج ابن حاتم بن الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الاصل الاسكندراني المولد والدار المالكي المذهب »

وليس ذكر الاسمآء الكثيرة او النسب محل المؤاخذة في هذا الموضع لكن ذكر الاسمآء والكنى معاً وكان يُستغنى بذكر الاشهر من ذلك تخفيفاً واراحةً لذهن القارئ

ولو قلّبت كتاب الاغاني على ضخامتهِ لما وجدت ذكراً للملامح والسحنات او تفصيلاً لذلك الا لبعض افرادٍ كالحطيئة الشاعر قال « كان دميم الخلقة هجّآءً جشعاً سؤولاً مُلحِفاً دني النفس قبيح المنظر رَثّ الهيئة » وهذا اكثر ما فيهِ وصف الاخلاق لا وصف السحنة . ولو فليت ديوان الحماسة ويتيمة الدهر وقلائد العقيان ومطمح الانفس ودمية القصر والوفيات ونفح الطيب وغير ذلك من كتب التراجم والتواريخ لما وجدت وصفاً صحيحاً وافياً بهذا الغرض غير وصف ابن خلكان لابي مسلم الخراساني فانهُ يقول « وصف المدائني ابا مسلم فقال كان قصيراً اسمر جميلاً حلواً نقيّ البشرة احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت لم يُرَ مازحاً او ضاحكاً الا في وقتهِ ولا يكاد يقطّب في شيء من احوالهِ واذا غضب لم يستفزّهُ الغضب تأتيهِ الفتوحات العظام فلا يظهر عليهِ اثر السرور وتنزل بهِ الحوادث الفادحة فلا يُرَى مكتئباً »

وهذا الوصف البديع وان كان ناقصاً لانهُ لم يذكر هيئة وجههِ هل كان مستديراً او مخروطاً ولا شكل انفهِ ولا فمهِ بيد انهُ وصفٌ يمكن بهِ تصوير الموصوف في مخيّلة الناقد . ومثل ذلك ما ذكرهُ عن ابي حنيفة النعمان قال « كان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المؤاساة لاخوانهِ وكان ربعةً من الرجال وقيل كان طُوالاً تعلوهُ سُمرة احسنهم منطقاً واحلاهم نغمة » ووصف غير هذين العلَمين ايضاً بيد ان جل التراجم عُطُل من ذلك

وقل مثل ذلك في تواريخهم الا ما رُوي عن ملامح بعض الخلفآء قال ابن الاثير ما محصلهُ « كان المنصور اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من افصح الناس واحسنهم خُلقاً ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان (كذا) فاذا لبس ثوبهُ اربدَّ لونهُ واحمرَّت عيناهُ وكان حازماً حليماً شجاعاً بصيراً بأمور الحرب والسياسة داهية وقد اجمع الرواة على شدة بخلهِ وحكمتهِ وفضلهِ وعدلهِ » . قال « وكان عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور لهُ صفيرتان وكان فصيحاً لسناً شاعراً حليماً عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليهِ لا يُخلد الى راحةٍ ولا يسكن الى دعةٍ ولا يكل الامور الى غيرهِ ولا يتفرد في الامور برأيهِ شجاعاً سخيًّا شديد الحذر وكان يقاس بالمنصور في حزمهِ وشدة ضبطهِ المملكة »

فاذا اضاف الناقد الى علم الفراسة التي لا بد لهُ منها شيئاً من الوقوف على المكان والزمان والاحوال التي كتب فيها الكاتب ذلك الكتاب أو

الرسالة أو القصيدة لم يبطئ ان تنجلي لهُ اسرارها فيعلم ان كلمة كذا أو جملة كذا لم تسقط من قلم المنشئ الا لتغلُّب الهم أو الحزن عليهِ أو الفرح الذي استخفهُ او لخمار الخمر او لغير ذلك من اسباب الخوف او الدعة او الطيش او السكون او لحدّة التصور او البـلادة الى غير ذلك من آثار الاحداث النفسانية وانها لم تسمُ او تحطّ عن سائر كتاباتهِ الاّ للسبب المكتشَف ومتى تمكنت هذه الملكة من الناقد واطّلع على شيء من انشآء المؤلف ثم عرض لهُ من قلمهِ ما يسفل او يرتفع عما كان اطلع عليهِ اسرع في كشف السرّ وبيان السبب . وهذه الملكة وان كانت عزيزة المنال الا انها كسائر الملكات تحصل للرجل بادمان المطالعة وتحصيل العلوم اللازمة لها خصوصاً اذا أُوتي ذوقاً سليماً وقلباً عليماً وارادةً صادقة

فوائد

افضل طريقة لساق البيض النيمرشت — العادة المتعارفة في ذلك ان يُغمَس البيض في المآء الغالي مدة ثلاث دقائق ولكن هذه الطريقة لا يكون الانعقاد بها متساوياً في جميع اجزآء البيضة فان القسم الخارجي من البياض يقسو فيشقّ هضمهُ على المعدة حالة كون المُحّ اي الصفرة يبقى نيئاً . وذلك فضلاً عن صعوبة ضبط الوقت لان فرق نصف دقيقة زيادةً أو نقصاً يؤثر في حال البيضة

فالافضل على ما جآء في احدى المجلات العلمية ان يُعدَل في سلقهِ الى طريقةٍ اخرى وهي ان تؤخذ الكمية الكافية من المآء بالقياس الى